# مَـدْخَـــل...

كان موضوع إحدى محاضراتى يدور حول الإلحاد؛ فقلت مُعَرِّفًا به:

**الإلحاد ببساطة هو إنكار وجود الإله...**

وأضفت: لم يشـهد تاريخ البشرية مدًّا إلحاديًّا عارمًا كالذى شـهده فى ظل الحضارة المادية المعاصرة. كما لم تعرف بلادنا الإلحاد إلا فى العقود الأخيرة، وقد شـهدت البلاد مدًا إلحاديًّا بعد ما أُطلق عليه ثورات الربيع العربى.

واستطردت شارحًا أشكال الإلحاد، خلفيته التاريخية، حجج الملاحدة وكيف ندحضها...

وخـلال المحـاضرة ألقيت على الحاضرين سـؤالًا: مَن منكم يوجد فى دائرة حياته شـخصًا ملحدًا؛ هو نفسـه، أو جار، أو زميل دراسـة أو عمل، أو صديق، أو قريب لصديق، أو.. أو.. رفع **عددٌ غير قليل من الشباب** أيديهم.

وبعد المحاضرة جاءنى عددٌ من كبار السن (من المسلمين والمسيحيين) وقال لى كلٌّ منهم: إن ما عرضت من تساؤلات يطرحها الملاحدة؛ مثل لماذا العذاب والألم فى الدنيا؟ وما أصل البشر؟ ومـن خلق الإله؟.... لم تخطر لنـا على بال، فنحن نحيا حياتنا بفضل الله مؤمنين **ولا تسـاورنا أية شكوك**.

يحمل هذان الموقفان رسالة مهمة؛ **وهى أن الإلحاد وإن كان قد بدأ يطل برأسه بين الشباب فى بلادنـا، فـإن الإيمان فطرة يستشـعرها الناضجون ويحيـون فى ظلها خارج دائرة الشـكوك والقلق**.

□□□

## لماذا هذا الكتاب

لمَّا كان **مشروعى الفكرى** يدور حول العلاقة بين العلم والفلسفة والدين، ويهدف إلى تجديد الفكر العلمى وتجديد الفكر الدينى، كان طبيعيًّا أن تتطرق كتبى السابقة لمشكلة الإلحاد.

وقد تلقيت عددًا من الطلبات الكريمة لإصدار مؤلَّف متكامل حول الإلحاد، ولعل أجملها كان من **الفاضل الشيخ الدكتور محمد العوضى المفكر والإعلامى الكويتى الكبير**، الذى لم يتوقف دوره عند حَثِّى وتشجيعى على إخراج الكتاب، لكنه ظل يمدنى بالمراجع والاقتراحات منذ البداية وحتى مثول الكتاب للطبع. وقد دفعنى للاستجابة لهذه الطلبات ما رصدته بنفسى من تزايد أعداد الملاحدة فى بلادنا فى السنوات الأخيرة، حتى إنى ألتقى أسبوعيًّا تقريبًا شابًا ملحدًا ترسله إلىَّ هذه الجهة أو تلك، لمناظرته والإجابة عن تساؤلاته.

وخلال العام الماضى أدركت أن قضية الإلحاد ينبغى أن تحتل منزلة الرأس فى مشروعى الفكرى. فاستجبت لدعوة المفكر الإسلامى الكبير د. محمد عمارة لتأليف عمل عن الإلحاد يصلح لأن يكون الكتاب الهدية المُرفق بمجلة الأزهر، وقد صدر الكتاب بالفعل مع عدد المحرم العام 1435 هـ من المجلة بعنوان «**وهم الإلحاد**». كذلك جعلت موضوع مقالاتى الأسبوعية فى جريدة أخبار اليوم بعنوان « **فى بيتنا ملحد**». وأكثرت من **المحاضرات والندوات** فى الجامعات والأوساط المختلفة حول ذات الموضوع. وأخيرًا يأتى **الكتاب الذى بين يديك** ليتناول القضية بتأصيل وعرض عميقين.

يعالج هذا الكتاب خرافة الإلحاد، من خلال مشروعين فكريين متداخلين شديدى الأهمية والحساسية، وهما:

- ❐ **تجديد الفكر العلمى**؛ بحيث يدرك العلماء أن ليس بين العلم والدين تعارض، بل هناك توافق عميق بينهما، مصدره أن جذور العلم الحديث مستمدة من الدين، وأن يدركوا أن التوصل لآليات الظواهر العلمية لا يتعارض مع وجود غائية وراءها. وبذلك يُسلمنا العلم فى آخر المطاف إلى القول بالوجود الإلهى الخالق لهذا الوجود ومدبره وحافظه[1].

(1) هذا الطرح ليس ببدعة، فهو دأب كبار العلماء الذين وقفوا وراء ثورة العلم المعاصر، كإسحق نيوتن ومكسويل وفولتا وأينشتين وماكس بلانك وغيرهم.

❐ **تجديد الفكر الدينى**؛ بحيث يفرز خطابًا دينيًّا يمثل عامل جذب بعد أن أصبح الخطاب السائد عامل طرد من دائرة الإيمان. وذلك امتثالًا لحديث رسوله الكريم ﷺ: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[1].

ويتفاعل هذان المشروعان التجديديان ليحققا المنهج الإسلامى الأصيل فى الدعوة والذى يتمشى مع هذا العصر ويتجاوب مع وعد الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت].

وبالإضافة لمعالجة خرافة الإلحاد، فإن الكتاب دعوة لأن نتعلم **قراءة كتاب الله المنظور (الآفاق والأنفس)** كما نقرأ **كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، وأن** نستمد من كليهما الأدلة على الوجود الإلهى. ودعوة لأن نتقبل **الجهود الحثيثة لتجديد أمر الدين**، وإلا أغرقنا طوفان المادية الذى لا يُبقى ولا يذر.

إن من يتصدى لهذه المهمة كالذى يضع نفسه **بين حَجَرَىّ الرحى أو بين المطرقة والسندان** كما يقولون! فمحاولات تجديد الفكر العلمى لن يرضى عنها العلماء الماديين ومن يسير سيرهم، كما لن تُرضى محاولات تجديد الفكر الدينى جُل علماء الدين المقلدين ومن يهتدى بخطاهم. ومن أمثلة ذلك ما لاقيناه من هجوم بعد كتابتنا عن مفهوم «**التطور الموجه للكائنات الحية**»، الذى يتماشى مع العلم فى قبول التطور وهو ما يرفضه المتدينون المقلدون، ويتماشى مع الدين فى أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق من خلال آلية التطور وهو ما يرفضه الدراونة وأيضًا المقلدون من رجال الدين[2].

❐❐❐

## منهج الكتاب...

كان التصور الأوَّلى للكتاب أن يقوم على تفنيد آراء كبار رجال الإلحاد فى الغرب وبخاصة ريتشارد دوكنز، حيث يعتمد الإلحاد فى بلادنا على إفرازاتهم. ثم أدركت أن ذلك يكون كمن

(1) هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابى الجليل «أبو هريرة». رواه أبو داوود، وصححه السخاوى والحاكم والبيهقى وابن حجر والألبانى.

(2) سنفصل هذا الموضوع فى الفصل السادس.

يعطى الفقير الجائع سمكة! بينما الأفضل أن نعلمه الصيد. لذلك فضلت أن يطرح الكتاب القضية **كما نتعامل نحن الأطباء مع أحد الأمراض**؛ عرض مسببات المرض، وتاريخ ظهوره واكتشافه، وأعراضه وعلاماته، ومضاعفاته، والوقاية منه وعلاجه، بذلك نحقق نجاحًا أكبر فى استئصال شأفة المرض. ولا شك أن هذا التناول يعطى القارئ مناعة أقوى ضد شكوك النفس، وقدرة أكبر على التصدى لما يُطرح عليه من شبهات إلحادية.

هذا وقد سألنى بعض المهتمين بكتاباتى: نراك **تكرر أفكارًا وموضوعات وأحيانًا تكرر فصلًا أو أكثر بين كتبك**، ألا يخل ذلك باستقلالية كل كتاب؟

لهؤلاء قلت:

إن المؤلف الذى يتصدى للكتابة فى مجالات مختلفة يستطيع أن يُفرد لكل موضوع كتابًا، دون تكرار للموضوعات والأفكار. أما «**صاحب المشروع الفكرى الحياتى**» فيعرض مشروعه من زوايا وجوانب مختلفة حتى يستكمل طرحه، ولا مفر فى عرض المشروع الواحد من تداخل وتكرار الأفكار. وربما كان أستاذانا د. مصطفى محمود ود. عبد الوهاب المسيرى ممن ظهرت هذه السمة بوضوح فى كتاباتهما المتعددة.

أقول ذلك لأنك ـ قارئى الكريم ـ ستجد تكرارًا فى هذا الكتاب لبعض الأفكار من كتبى السابقة، فأرجو أن تلتمس لى العذر.

□□□

## لمن هذا الكتاب...

كتبت فى حصاد كتابى «رحلة عقل» **أنه يخاطب أحد خمسة عقول**، لا شك أن القارئ يمتلك أحدها:

1- متدين يريد أن **يرقى بإيمانه**، من إيمان الميلاد إلى إيمان اليقين، حتى يمتلئ قلبه بالشعور بأن الله حق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت].

وقد يقترب الإنسان بذلك من مقام الخشية: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ...﴿٢٨﴾﴾ [فاطـر].

2- متدين **غابت عنه حقيقة الإنسان**، كموجود متكامل من جسد وذات غير مادية (روح/نفس/قلب/عقل). ومن ثَمَّ نظر إلى الإنسـان نظرة عوراء، لا ترى فيه إلا مادية متدنية أو روحانية منفصلة عن الواقع.

3- متدين يظن أن فهمه للدين الذى تربى عليه «**تمام التمام**»! **فلم يُنزل العقل والعلم منزلتهما** فى منظومة الإيمان. فغاب عنه الكثير، بل غاب عنه أكثر مما حَصَّل. وربما أسلمه ذلك إلى أن يصبح أحد أفراد المجموعة التالية.

4- متدين **يبهره ما يردده الملاحدة** من (**كلام كبير**) حول مسـاهمة العلم فى تأكيد المفاهيم الإلحاديـة، حتى قالوا: «إن الإله وهـم كبير، وإن الدين أفيون الشـعوب،...»، فيغمره شـعور بالنقص لانتمائه لهذه الطائفة المتخلفة (المتدينين!)، بدلًا من أن يغمره الشـعور بالزهو.

5- **ملحد أو متشكك، اتَّشَحَ بالعلم، عن كِبر أو عن جهل**، ورأى فيه برهان الإلحاد، بدلًا من أن يرى فيه أدلة الإيمان، فتَوجَّب أن نوضح له الحقيقة حتى ننقذه من نفسه.

وبعـد أربع سـنوات، أخاطـب بكتابى هـذا «**خرافة الإلحـاد**» ذات العقول الخمسـة التى خاطبتهـا بكتاب «رحلة عقل»، عسى أن تجـد فيه العقول المؤمنة اليقين والترقى، وأن تجد فيه العقول الملحدة والمتشككة النور والهداية.

□□□

**ونختم هذا المدخل بوقفة مع محتويات الكتاب:**

ينقسم الكتاب إلى **أربعة أبواب** تضم **أربعة عشر فصلا**.

● **الباب الأول** بعنوان «**العلم والدين والإلحاد**»، ويشتمل على ثلاثة فصول: الأول «**الإلحاد المعاصر**» ونتعرض فيه لنشأة الإلحاد المعاصر وسماته.

والثانى «**طبيعة العلم**» ونعرض فيه مفهوم العلم وقدراته وحدوده.

ثـم نبين فى الفصل الثالث بعنوان «**صراع مُتَوَهَّم**» أن هناك توافقًا عميقًا بين الدين وجذور العلم، وليس صراعًا كما يتوهم البعض.

● **والباب الثانى** بعنوان «**بين الإله والإلحاد**»، ونطرح فيه أهم الظواهر الكونية والبيولوجية والإنسـانية والغيبية، ونبين كيف ينظر إليها كل من المؤمنين بالإله والملاحدة، وحجج كل من الفريقين. لذلك جاءت الفصول من الرابع إلى التاسع تحت عناوين:

**الكون بين الإله والإلحاد**

**الحياة بين الإله والإلحاد**

**التطور الداروينى بين الإله والإلحاد**

**التصميم والتطوير بين الإله والإلحاد**

**العقل بين الإله والإلحاد**

**الألوهية ـ الدين ـ الأخلاق، بين الإله والإلحاد**

● ونتنـاول فى **البـاب الثالـث** وعنوانـه «**مسـتنقع الملاحدة**» أفـكار الملاحـدة فى الغرب والشرق.

وقـد خصصنا الفصل العـاشر وعنوانه «**ريتشـارد دوكنز، حادى الملاحـدة الجدد**» لعرض أفكار زعيم الملاحدة الغربيين الجُدد ومنهجه الفلسفى وللرد عليهما وتفنيدهما.

ويتناول الفصل الحادى عشر فكر أشـهر أتباع دوكنز وأهم مؤلفاتهم تحت عنوان «**شراذم الإلحاد الجديد**».

ثم يأتى الفصل الثانى عشر بعنوان «**الإلحاد فى العالم الإسـلامى**»، ونعرض فيه تاريخ الإلحاد فى بلادنا من حروب الردة حتى الإلحاد المعاصر بين شبابنا.

● **والباب الرابع والأخير** بعنوان «**مع الله**»:

ونتناول فى فصله الثالث عشر تحت عنوان «**الطريق إلى الله**» الرحلات الإيمانية لأربعة من كبار المفكرين، والتى شكلت فيما بينها نسيجًا يشتمل معظم ملامح المنظومة الإيمانية.

ويمثل الفصل الرابع عشر والأخير «**الخروج من المستنقع**» حصادًا لفصول الرحلة، وعرض لخطوات الخروج من مستنقع الإلحاد إلى فردوس الإيمان، مع طرح متوازن لأهم واجبات المسلمين فى هذا الزمان، وهو تجديد الفكر الإسلامى.

هكذا تتكامل **الرحلة من الإلحاد إلى الإيمان إلى الإسلام**. ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلها عملًا مقبولًا تَثْقُل به موازينُنا، وأن يجعلنا من أهل شهادة «**لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله**».

**عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نلقى الله يوم القيامة.**

□□□